العرب
الثلاثاء 2021/03/23
السنة 43 العدد 12008

المشاريع الثقافية الخاصة في تونس: فعل ثقافي أم بروباغندا

فنانون ومثقفون أنجزوا مشاريعهم الخاصة فانتهوا إلى مستكرشين صغار

تزايدت في السنوات الأخيرة المشاريع الثقافية الخاصة في تونس والتي تحاول تحقيق المعادلة الصعبة بين الفعل الفني والثقافي القيّم وتحقيق الربح المادي. وقد تميل الكفة إلى التربّح والاعتماد على دعم الدولة، وبالتالي تصبح الكثير من هذه المشاريع الخاصة نافذة للفساد أو هي في أحسن الحالات خبط عشوائي باسم التنوير، بينما لا توجد مردودية ثقافية حقيقية.

الأفراد لا يمكنهم صنع ثقافة بمسؤولية كاملة (لوحة للفنان سنان حسين)

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

أن تنشئ مشروعا ثقافيا خاصا في بلد مثل تونس، فهو أمر غاية في اليسر والسهولة، ويقابل بالتهليل والتشجيع من طرف الجهات الراعية والرسمية، لكن الأمر عكس ما قد نتخيله تماما.

الغريب أن المشاريع الثقافية التونسية الخاصة، والعربية على وجه العموم، تقابل بالسخرية والتهكم من الطرفين الرسمي والخاص، فلا يكفي أنها محل استهتار واستهزاء واستخفاف من طرف الجهات الرسمية، وذلك من حيث سؤالك عن "الجدوى" كباعث مشروع تريد الاستفادة من القوانين النظرية، كما أنها موقع منافسة واستعلاء من لدن الجهات الخاصة أي أن كل ما يمكن أن تقدمه من مشاريع ثقافية، هو في حقيقة الأمر محض هراء، ما لم يكن لديه جدوى.. وأي جدوى؟

> **المشاريع الثقافية الخاصة لم تقدم شيئا يذكر بل نافست بيروقراطية الدولة في الفساد وأنتجت دكاكين أشبه بالوكالات**

وباختصار شديد، إن أنت قدمت مشروعا مسرحيا خاصا أو فنيا على وجه العموم، فإما أن تكون حاد المنفعة والاستفادة والذكاء وإما مغفلا وكثير البلاهة ومتحمسا للنوايا الساذجة.

المشاريع الثقافية الخاصة في تونس، وغيرها من البلدان التي نسجت على منوالها، ليست مشاريع ثقافية بل بروباغندا نسجت على منوال هذا البلد الذي "تورّط" في الحداثة دون أن يخرج منها بـ"أخف الأضرار".

المستكرشون الصغار

الثقافة لدى العديد من الناس هي مشروع للاستثمار، ولكن إلى غير وجهة. ثمة قناعة لدى أهالي المهن الثقافية والفنية في تونس أن أفضل طريقة لـ"نهب" ميزانية الدولة هي أن تقدم مشروعا "ثقافيا"، فلا تحاسب على جدواه وفاعليته أو طرق التصرف في موارد الدعم، وتكتفي بالقول "إنه سيخلّص البلاد وأهل البلاد من براثن الجهل والتطرف" أي أن كل ما يقدم باسم الثقافة هو ثقافي تنويري بالضرورة.. أي أن المشاريع الثقافية هي وسائل هروب نحو تهميش الثقافة وتغييبها تحت هذه الادعاءات.

الأفراد والجماعات المحلية الضيقة، لا يمكن لها أن تصنع ثقافة بالمسؤولية الكاملة عن الكلمة، ولكنها قد ترسي في أحسن حالاتها، نوعا من الحرص على ثقافة ضيقة، بغية الحفاظ على امتيازاتها الجهوية والإثنية كمرصود انتخابي أو حتى اجتماعي، في أسوأ حالاته، لكنّ أن يعوّل عليها كبديل وطني، فهذا أمر بعيد المنال.

الجماعات المحلية تبقى "جماعات محلية" في أحسن حالاتها، ولا يمكن أن يعوّل عليها في استراتيجية وطنية مكتملة البناء كما هو الشأن بالنسبة إلى الغرب الأوروبي الذي استنفد البناء، وعاد يحتاج إلى الترقيع والتفصيل عبر ثقافة المشاريع الخاصة، أمّا نحن فلم ننجز العام كي نلتفت إلى الخاص الذي يحتاج لدينا إلى ترتيبات كثيرة.

أعرف - شخصيا- الكثير من الأصدقاء الفنانين والمثقفين الذين تمكنوا من إنجاز مشاريعهم وعروضهم الشخصية في تونس، بمنتهى السلاسة والوضوح، لكنهم انتهوا إلى مستكرشين صغار، ينتفعون بمثل ما انتفع به غيرهم. ولم يضيفوا للمشهد الثقافي أي شيء.

قد أجرأ على القول إن بلدا مثل تونس، ترتقي فيه القوانين المنظمة للحياة الثقافية أكثر من المنتفعين بها وسط فوضى الانتفاعات والمحسوبيات، والقوانين التي لا تفرق بين المثقف وغير المثقف، خصوصا أن الحابل قد اختلط بالنابل، داخل وسط فني وثقافي يغيب عنه التجانس والفرز والانسجام.

لا تستغرب إن صادفت ممثلا أو كاتبا أو تقنيا مسرحيا أو موسيقيا يمتلك "علبة إنتاج فني" وفق التعبير التونسي المترجم عن الفرنسية، يفتخر كل من هؤلاء بـ"غنيمته" في السنوات الأخيرة، ويأخذ دوره في "طابور الدعم الإنتاجي" الذي تجود به وزارة الثقافة من الأموال العامة.

غياب الفعالية

هل نتحسّر على الدولة "شبه الاشتراكية" التي ساوت بين المبدعين - أو ربما مارست المحاباة - ولكنها لم تمارس المساواة العمياء، واحتكرت الثقافة كأفضل ما يكون الاحتكار.

الصراحة أن المشاريع الثقافية الخاصة، لم تقدم شيئا يذكر غير أنها نافست بيروقراطية الدولة في الفساد، وأنتجت دكاكين أشبه بالوكالات والفروع.

هكذا يفرّخ الفساد حينما يريد أن يفرّخ وسط دولة تطوّر من قوانينها لكنها لا تطوّر من سلوكيات أبنائها، بمن فيهم أولئك القائمون على تطوير قوانينها.

صحيح أن المشاريع الثقافية الخاصة تزايدت أعدادها مثل الفطر والقراد، لكن فعالياتها تتراجع بل وكأنها وجدت للتراجع، والقول بأنه قد جيء بها للجم ما هو حقيقي ومسؤول.

إنها حقا مسؤولية محيرة وتطرح موضوعا غاية في الخطورة والتنبيه إلى أن احتكار الدول للثقافة، لا يعني بالضرورة، ظلم من كان في الهامش ولا يقوى على مجاراة الرسمي والمسموح، وإنما الهامش ليس هامشا دائما بل قدرة على التعطيل ووضع العصي في العجلات.

لدينا في تونس الآلاف من الجمعيات الخاصة في الأدب والثقافة والفكر والفن، حتى صرنا نتفوق عدديا على أكثر وأعتى بلدان العالم ادعاء للديمقراطية، لكن الأمر يبدو أكثر تعقيدا، إذ أن الجميع ينافس الجميع ويحاول أن يتفوق على الجميع، ولهذا السبب فإن المشاريع الخاصة قد زادت أعدادها وغابت فعاليتها.

مشروع «كلمة» الإماراتي يقدم موسوعة لسبعة قرون من الشعر الفرنسي

أبوظبي - أعلن مشروع "كلمة" للترجمة في مركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي بدء الإعداد لإصدار الكتب الأربعة والأربعين الأولى ضمن "موسوعة شعراء اللغة الفرنسية" والتي من المقرر أن تصدر في مئة كتاب سعيا إلى تقديم رؤية واسعة للشعر المكتوب باللغة الفرنسية عبر العصور.

وتغطي تلك الكتب تحولات هذا الشعر من نصوصه الأولى المكتوبة بالفرنسية الحديثة أي منذ أواسط القرن الخامس عشر، حتى بدايات القرن الحادي والعشرين، ويأتي إصدارها بالتزامن مع الاحتفاء باليوم العالمي للشعر الذي يوافق 21 مارس من كل عام.

وقال الدكتور علي بن تميم، رئيس مركز أبوظبي للغة العربية "يأتي الإعلان عن بدء الإعداد للدفعة الأولى من 'موسوعة شعراء اللغة الفرنسية'، بالتزامن مع اليوم العالمي للشعر، ليعكس اهتمام مشروع 'كلمة' للترجمة بالشعر إلى جانب غيره من الأجناس الأدبية الأخرى".

وتمثل المجموعات مشروعا ثقافيا رائدا، ومبادرة هامة تطلقها أبوظبي بهدف إثراء المكتبة العربية بمختارات من قصائد نخبة من شعراء فرنسا على مدى سبعة قرون، بما يفتح مجالا واسعا أمام المثقف العربي للاطلاع على ما تضمه الموسوعة من مختارات قيّمة في ظل نقص المواد المترجمة عن اللغة الفرنسية خاصة في مجال الشعر.

كما يؤكد هذا المشروع مكانة الترجمة باعتبارها جسرا بين الثقافات المختلفة ووسيلة للتقارب بين الشعوب.

وأشار بن تميم إلى حرص مشروع "كلمة" للترجمة على اختيار كوكبة مميزة من المترجمين والمترجمات في العالم العربي للاضطلاع بمهمة تنفيذ هذه المبادرة حتى تخرج بمستوى يتناسب مع طموح أبوظبي ومكانتها كمركز ثقافي عالمي في المنطقة، ونقطة تلاق لمختلف الثقافات من مختلف أنحاء العالم.

وجاءت تسمية "موسوعة شعراء اللغة الفرنسية" والتي يشرف على اختيار محتوياتها ومراجعة ترجماتها الشاعر والأكاديمي العراقي المقيم في باريس كاظم جهاد، وعمل على ترجمة أجزائها فريق من خيرة المترجمات والمترجمين العرب، من كون مجلداتها لن تقتصر على ترجمة منتخبات واسعة من أعمال الشعراء الفرنسيين، بل ستضم أيضا منتخبات لا تقل سعة عنها من أعمال أكبر الشعراء غير الفرنسيين الذين يدعون أحيانا "شعراء فرانكفونيين".

ومن المعلوم أن الشعر المكتوب بالفرنسية قد اغتنى في القرن العشرين بظهور شعراء كبار عديدين في الأقطار الغربية الأخرى الناطقة بالفرنسية، مثل مقاطعة كيبيك في كندا وبلجيكا وسويسرا، وكذلك ما يسمى "مقاطعات فرنسا لما وراء البحار" وفي بلدان عربية وأفريقية فرضت الفرنسية على أبنائها أثناء الفترة الاستعمارية واختارها بعضهم لغة لتعبيره الأدبي لأسباب دراسية أو شخصية.

وتبدأ الموسوعة بمنتخبات من آخر أهم أشعار العصر الوسيط التي كتبها شعراؤها بالفرنسية في جو كانت تسود فيه اللاتينية واللغات المحلية كالبروفنسالية أو "لغة الأوك"، أي أشعار الرعيل الذي يضم فرانسوا فيون وغيوم دوماشو وأوستان ديشان وجان فرواسار وكريستين دوبيزان وشارل دورليان وآخرين.

وتنتقل إلى القرن السادس عشر، حيث أصبح الشعر الفرنسي أكثر ميلا إلى الغنائية، وبالتالي أكثر احتفالا بالمشاعر والانفعالات.

ومنه ترتحل الموسوعة إلى شعر القرن السابع عشر الذي تميز باتجاهين، عمل الأول على تكريس الشعر الباروكي، وعني بزخرفة الشعر وتكريس المجانسة والطباق والموازنة والتكرار الفني. ثم جاء التيار الثاني، تيار الشعر الكلاسيكي، ليحد من غلو النزعة الزخرفية أو الشكلية لدى شعراء الباروكية، مع التوقف أمام لافونتين الذي يتمتع بمكانة خاصة عبر خرافاته المكتوبة شعرا، والتي تتقاطع مضامين بعضها مع مضامين أمثال "كليلة ودمنة" لابن المقفع.

مع الإشارة إلى شعراء المآسي أو "التراجيديات"، وعلى رأسهم جان راسين وبيير كورناي، لما تحمله كتاباتهم من أهمية تشمل الشعر والكتابة المسرحية في آن معا.

في حين يعتبر القرن الثامن عشر بتعبير معد الموسوعة، قرن الفلاسفة، فلاسفة التنوير بخاصة، الذين كتب بعضهم الشعر، كما فعل فولتير وديدرو وآخرون.

وتخصص الموسوعة كذلك مجالا أكبر لشعراء الحداثة، شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين حيث شهد الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر، شأنه شأن الرواية الفرنسية، انفجارا حداثيا عاتيا تمخض عن وفرة في الأشكال والمضامين المستحدثة.

وفي القرن العشرين كان الشعر الفرنسي مسرح تسارعات وانفجارات شتى فبدأ القرن بولادة الحركة الدادائية، التي عكست مخاوف ما بعد الحرب العالمية الأولى، ثم برز شعراء "العالم الجديد" أو "الواقع الجديد"، وشعراء الأناشيد الاحتفالية والكونية شبه الملحمية والبيت الشعري الطويل.

وتمثل أحد أهم أحداث القرن الشعرية في قيام الحركة السريالية، الداعية إلى سبر أغوار اللا شعور واستثمار عناصر الاستيهام والحلم وقدرات الكتابة العفوية.

مالارميه من رموز الشعر الفرنسي

كلمة
KALIMA

> **الموسوعة مشروع ثقافي رائد تطلقه أبوظبي لإثراء المكتبة العربية بمختارات لنخبة من شعراء الفرنسية**

وعلى أنقاض السريالية أو في امتدادها قامت حركات شكلية كالشعر الحرفي والشعر التجريبي والشعر الصوتي، لم تصمد أمام تجارب وأصوات أخرى أشد تأثيرا وأعمق اشتغالا على اللغة والمعيش الإنساني، وضعها شعراء كبار يشكل كل منهم مدرسة بحد ذاته.

وبرز كبار شعراء الفرنسية من غير الفرنسيين من أمثال السنغالي ليوبولد سيدار سنغور والأنتيلي إيميه سيزير واللبناني جورج شحادة والمصري جورج حنين والجزائريين جان سيناك ومحمد ديب والمغربي محمد خيرالدين والكيبيكي غاستون ميرون.

وفي امتداد هذه الأصوات الكبرى يتواصل حتى يومنا هذا تجديد الشعر المكتوب بالفرنسية على أيدي شعراء من مختلف المشارب والخيارات الفنية ستشمل الموسوعة منتخبات شديدة الدلالة من إبداعاتهم الشعرية.